التقييم والتسجيل لا بد أن يقوم على رصد بنية وطبيعة القوى الفاعلة والمحركة فيها . ومن محاكمة فكرها وبرامجها وسياساتها يمكن تلخيص السمات والقوانين العامة التي طبعت مسيرتها . هذه الدراسة يمكن أن تكون سجلا تراثيا كفاحيا غنيا يضيء ويرسم طريق المعارك الوطنية والطبقية في المستقبل ويكون مثالا لتجارب الشعوب التي تشاركها طبيعتها وقوانينها الاساسية . والاتجاه الثاني : أن تكون محاولة تقييم نقدية للافكار والممارسات والسياسات التي انتهجتها تلك الحركة عبر فصل أو شوط او معركة في تاريخ مسيرتها ، لاستخلاص الدروس والحقائق التي تأكدت وتبلورت في ذلك الفصل أو المعركة ، بهدف صياغة منطلقاتها الفكرية وبرامجها السياسية **التي تعينها في تصحيح مسيرتها والتي تضعها على طريق النصر لاكمال مهماتها الكفاحية .**

واذا كانت الدراسة النقدية التي نشرها الدكتور صادق العظم تقييما وتسجيلا لمرحلة تاريخية كاملة قد « حسمت » في الماضي القريب ، ولاقت « حتفها تقريبا » كما يقول ، فقد كان عليه ان يتريث حتى تنتهي الفصول الختامية ليشهد وقائع فترة « التقريبا » أو هزيمتها النهائية بعد انقضاء « الفترة من الزمن » التي حددها بثقة عالية ، لكي يتمكن من تسجيل نهايتها الدرامية ، ويلتقط نصوصا أكثر اثارة في مفارقاتها من النصوص التي سجلها بعد خسارة معركة أيلول، لكي يستخدمها بكفاءة أكبر عند مناطحتها رأسا برأس. اما اذا كانت ، وكما يخبرنا في مقدمته ، « محاولة نقدية لفهم أسباب وعوامل الهزيمة التي مني بها الكفاح المسلح الفلسطيني على يد النظام الهاشمي » (رغم انه سرعان ما يقفز لمهمات أوسع واكبر حيث يتصدى لمهام حركة التحرر الوطني الفلسطينية ومعضلات حركة التحرر العربية) فانه في هذا التصدي لكل هذه المهام والمعضلات ، لا يجيبنا على أي منها ، ولا يستخلص لنا أي درس لمواجهة المهام الجدية والعاجلة التي تواجهها حركة التحرر الفلسطينية المسلحة ، وحركة التحرر العربية الا بصيغة استاذية تعليمية وكأنه يحاضر في طلبة احدى الجامعات ليطلب من طلابه كتابة بحوث مقارنة عن جغرافية عدد من البلدان او اقتصادياتها «او ثوراتها» فيقرر بحزم ودراية ان « المبادىء العامة لقيادة الثورة التحررية الناجحة **معروفة** [!] **ومدونة** [؟] وقد كتب حولها الكثير من الشروح والتلخيصات في منطقتنا ، كما ان المعالم العامة للطريق الثوريـــة التي تمكن المقاومة الفلسطينية من تخطي مأزقها الخانق في الوقت الحاضر **واضحة ايضا** » [؟!] (ص ٢٤١) . هكذا فما على الثورة الفلسطينية الا أن ترجع الى بضعة كتب او نصوص عن المبادىء العامة والمدونة للثورات الناجحة لتحل معضلاتها الكفاحية المعقدة مرة واحدة. ولا ندري لماذا ينصح بالرجوع الى الثورات الناجحة فقط . بينما جميع الثورات الناجحة الكبرى أحرزت نجاحاتها بدراسة شروط انتصار الثورات الناجحة وتفحص ومعرفة أسباب وعوامل واخفاق الثورات غير الناجحة أيضا .

تقوم الافكار الرئيسية لدراسة العظم النقدية على الفرضيات والاستنتاجات التالية :

١ ــ ان حركة المقاومة انهزمت في أيلول لانها امتداد لحركة التحرر العربية الام التي انهزمت في حزيران ١٩٦٧ . وبهزيمة أيلول فان حركة المقاومة قد لاقت « حتفها تقريبا ». وفي دراسته يحاول أن يطابق بين أوجه الشبه في الهزيمتين مـــن خلال مسيرة حركة التحرر الفلسطينية المسلحة وحركة التحرر العربية .

٢ ــ ان « هزيمة » أيلول تكمن في التحليل الاخير في العوامل الداخلية النابعة من تركيب حركة المقاومة ، وبالهزيمة « حسمت » مرحلة تاريخية من كفاح الشعب الفلسطيني بانتظار المرحلة **القادمة** .

٣ ــ المرحلة القادمة من الكفاح الفلسطيني والعربي التحرري لا يمكن أن تتحول الى ثورة حقيقية الا اذا اخذت بثلاث توصيات ينبه لها ، وهي من دروس الثورة الصينية : الحزب الثوري ، النظرية الثورية ، الانحياز الى الاشتراكية .